الأبعاد السياسية العبادية في الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

أعتذر من السادة للمشقة التي يعانونها بسبب ضيق المكان، حفظكم الله جميعا إن شاء الله. كان اليوم عيدا، وقد أرادوا إقامة صلاة العيد، ولكن منعوهم من إقامتها في الكثير من أنحاء إيران، ففرقوا الأهالي في مدينة قم بالغازات المسيلة للدموع لكي لا يقيموا هذه الصلاة، كما هاجموا الأهالي في عدد من المناطق الأخرى، وارتكبوا ممارسات غاية في الوحشية، وهذا آخر سهم في جعبة الملك. وقد عامل الأهالي في أنحاء إيران بأبشع درجات الوحشية، وهو عازم على مواصلة هذا التعامل.

الحكومة عسكرية ورئيسها عسكري غافل عن الله تعالى، ولكن لا فائدة من كل ذلك ولا جدوى من كل هذه المحاولات اليائسة التي يتشبثون بها، فلم تبق للملك قاعدة بين أوساط الشعب. كما أن سلطنة الملك رضا لم تكن دستورية منذ البداية، حتى لو كانت دستورية فالحكم الملكي اليوم هو حكم بغاة أبطلته استغاثات الشعب في كل مكان، فالملك هو باغ وينهب ببغيه بيت مال المسلمين ويقتل الشعب.

إن لهذه الشعائر التي شرعها الإسلام مثل عيدي الفطر والأضحى وموسم الحج ومواقفه وصلاة الجمعة، وصلوات الجمعة التي تقام في الليل والنهار، بُعدا عباديا وأبعادا سياسية واجتماعية، وبُعدها العبادي مدغم بالسياسي. فالديانة الإسلامية ليست عبادية وروحانية مجردة تحدد فقط واجبات العبد نحو الله (تبارك وتعالى)، كما أنها ليست سياسية مجردة بل هي عبادية سياسية تمتزج سياستها في العبادات وعبادتها في سياساتها، بمعنى أن للجانب العبادي بُعدا سياسيا، فنفس الاجتماع في الأعياد لإقامة صلاتها هو عبادة لكنه أيضا يشتمل على جنبة سياسية، وعلى المسلمين أن يحصلوا على ثمار كثيرة من الاجتماعات المتوفرة.

كانت المساجد، مثلا، في صدر الإسلام مراكز يتحرك منها الجيش لمحاربة الكفار والجبابرة حيث كانت تُلقى فيها الخطب التي تعبّئ الناس لمواجهة فلان الذي طغى في المكان الفلاني وبغى على المسلمين أو نهب أموالهم وتجبر وانحرف، فتتحرك الجيوش من المساجد لمجاهدة العدو، كما كانت تعقد فيها المعاهدات. هذه صورة المساجد في صدر الإسلام، ولكن المنحرفين حرّفوها إلى الصورة المبتذلة الحالية الغريبة عما كانت عليه آنذاك.

يجب تبيان القضايا المرتبطة بمصير البلد، والتحركات السياسية والاجتماعية التي ينبغي القيام بها في خطبة صلاة الجمعة، كما يجب أن تتناول هذه الخطب مشكلات المسلمين واختلافاتهم وسبل حلها وإزالتها، وأن تبيَّن وتُدان فيها جرائم أمثال الملك محمد رضا. إن صلاة الجمعة عبادة لكنها ممتزجة بالسياسة، فالعبادة (في الإسلام) ليست مثل الدين المسيحي، أي هذا الدين الذي في أيدي المسيحيين اليوم، ولا أعتقد أن الذي جاء به المسيح (ع) هو هذا الذي يزعمون اليوم أنه لا شأن له بالحياة الاجتماعية والأوضاع السياسية، وأنه ينحصر في أن يدقوا الناقوس ثم يقيموا عبادة قصيرة وينتهي الأمر حيث يذهب كل لشأنه، لا أعتقد أن هذا الموجود في العالم هو دين المسيح (ع)، فقد وقع تحريف في دين اليهود وكذلك دين النصارى، ولعبت بهما أيدي التحريف.

أما الإسلام، فإن وثيقة القرآن وهو محفوظ لم تتغير منه ولا كلمة واحدة، وفيه تبيان لكل شيء، فهو كتاب تربية الإنسان وصنع الشخصية الإنسانية بكل أبعادها، إذ أن للإنسان بُعدا معنويا وآخر ماديا وظاهرا وباطنا، وقد نزل القرآن لتربية جميع أبعاده وهو يشتمل على ما يلبي جميع احتياجاته، سواء المرتبطة به كفرد كالعلاقة بينه وبين الخالق (تبارك وتعالى)، وقضايا توحيد الحق تعالى وصفاته، والقيامة وأمثالها، أو القضايا السياسية والاجتماعية ومجاهدة الكفار وأمثالهم. حيث القرآن مليء بالآيات التي تحرّض الناس على هذا الجهاد وتأمر النبي بمجاهدة المعتدين والظالمين. فهو كتاب يبعث الحركة ففي العصر الذي نزل فيه كان العرب متفرقين يتنازعون ويتقاتلون فيما بينهم مثل مجاميع الوحوش، غافلين بالكامل عن الأمور السياسية، وفي أقل من نصف قرن، في حدود الثلاثين عاما، هزموا كلا الإمبراطوريتين (الإيرانية والرومية) عندما التفوا حول الرسول الأكرم الذي رباهم وجعلهم ينتصرون على هاتين الإمبراطوريتين اللتين كان كل العالم تقريبا يخضع لسلطتهما، فقد بعث فيهم القرآن الكريم تلك الحركة التي جعلتهم ينطلقون من الجزيرة العربية ويفتحون إيران والروم وأوروبا وكل مكان ويسيطرون عليها، ولكن ليس مثل ما يفعله غيرهم كنابليون مثلا الذي كان يسعى إلى التوسع في السيطرة على البلدان، بل إن هدف الفتوحات الإسلامية إصلاح الناس وهدايتهم إلى التوحيد والتحلي بالعدالة، وتوعيتهم بحقائق الأمور، وليس التسلط على البلدان. فلم تكن غايتهم هذه، بل هدفهم هداية الناس وتحويل المتوحشين الذين ينهش بعضهم بعضا إلى متحضرين.

القرآن الكريم نقل تلك الجموع المتناحرة على الدوام التي كان بعضها ينهش بعضا إلى تلك الحالة السامية من العدالة والتعامل مثل البلدان المتحضرة، بل خير منها. وعلى أية حال، فالإسلام ليس كسائر الأديان الأخرى التي وصلت لنا الآن ظواهرها، بل إنه يربي الإنسان بمختلف أبعاده، في عقله

وتهذيب أخلاقه وفي آدابه الظاهرية، من ناحية الظاهر، وله حكم بشأن جميع احتياجاته، كما أنه ليس مثل الأنظمة الحاكمة الأخرى التي تهتم فقط بالجوانب الاجتماعية والسياسية ولا علاقة لها بما يجري داخل المنزل، إذ أنها تتدخل إذا خالف، مثلا، النظام العام. أما الإسلام فهو يهتم بأمركم، حتى وأنتم تختلون بأنفسكم في منازلكم، وبسلوككم مع عوائلكم الصغيرة، وبعلاقتكم مع جيرانكم وأبناء وطنكم وأبناء دينكم وأتباع الأديان الأخرى، فلكل ذلك آداب في الإسلام، فهو ليس حكما مجردا، بل إن الحكم وشؤون السياسة أحد مجالاتها، ومنها أيضا اهتمامه بتربية الجانب المعنوي في الإنسان إذ يحدد له العقائد الصحيحة التي يجب أن يتحلى بها، والآداب العملية وغيرها، فالإسلام يهتم بها جميعا. في حين أن الأنظمة الأخرى تتجاهلها، فما من حكومة تنبري لتقول لكم: اجتنبوا العمل الفلاني في منزلكم، هذا ما لا علاقة للحكومات به، وليفعل المرء في داخل بيته ما يشاء، أما الإسلام فهو يتدخل في شأنك حتى وأنت في بيتك وحيدا، بمعنى أنه يحدد سلوكك هناك أيضا، ويبين الأخلاق التي يجب أن تتحلى وكيف يجب أن تستفيد من قوتك العقلية وطبيعة سلوكياتك والآداب التي ينبغي أن تتعامل طبقها مع أطفالك وكيف يتعامل الابن مع أبيه وأمه وبالعكس، والأخ مع أخيه وأفراد العائلة فيما بينهم ومع العوائل الأخرى. فقد حدد الإسلام آدابا لكل هذه الشؤون.

كما أن الإسلام يهتم بالقضايا الاجتماعية التي ترتبط بكافة أفراد بني الإنسان بلا اختلاف بين بلد وآخر. إذ لا ينحصر الإسلام في بلد معين، مثل إيران أو العراق أو غيرهما، بل يهتم بالعالم كافة بمعنى أنه يسعى إلى تربية جميع بني الإنسان، فلا يرتبط بقطر دون آخر أو بشرق أو غرب أو شمال أو جنوب، إنه دين إلهي. والله (تبارك وتعالى) إله الجميع وليس إله الشرقيين وحدهم أو المسلمين أو الغربيين أو المسيحيين أو اليهود وحدهم، بل هو إله الجميع، ورازق وخالق الجميع، وكذلك حال الإسلام فهو دين الجميع بمعنى أنه جاء لتربية كل البشر وفق الصورة التي يريد من العدالة.

بحيث لا يعتدي إنسان على آخر، ولا بمقدار أنملة. لا يعتدي إنسان على ولده أو زوجته، ولا تعتدي الزوجة على زوجها، ولا أحد أخوين على الآخر، ولا الرفاق بعضهم على بعض. وإنه يريد تربية الإنسان العادل بكل معنى الكلمة الذي يكون تفكيره وعقله عقل إنسان، وكذلك نفسيته ظاهرا إنسانيا ومؤدبا بالآداب الإنسانية. هذا ما يريد الإسلام تحقيقه.

ومن فروع الإسلام: حكومته، وتتوفر قضاياها في نفس هذه الآداب الشرعية. مثلا: في مواقف الحج الذي دعت الناس إليه الذات المقدسة للحق (تبارك وتعالى)، ولكن المسلمين لم يستطيعوا استثمار الحج بالصورة المطلوبة، وهو اجتماع عام يشترك فيه المسلمون من مختلف الطوائف، فقد دعي إليه

المسلمون جميعا بطوائفهم كافة، وحيثما كانوا في الشرق الأقصى أو الغرب الأبعد أو الشمال أو الجنوب أو أي بلد، بل دعي إليها (الناس)، أي ليس المسلمون وحدهم، بل يجب على الجميع أن يسلموا ويحجوا . أي المستطيعون منهم على الوصول إلى مكة . فقد دعاهم إلى الحج في العام مرة. فقد أراد تشكيل مؤتمر عام ينبغي أن يحل المسلمون فيه ما علموا به من مشكلات مختلف طوائفهم. فمثلا إذا ذهب إليه مسلمون من إيران وعرضوا فيه مشكلاتهم على سائر المسلمين، وجب على هؤلاء إعانتهم على حلها، كما أن الحجاج من الأقطار الأخرى عندما يعرفون في هذا الموسم ما يجري في إيران مثلا وما تفعله حكومتها ضد شعبها فإنهم سيكشفون هذه الحقائق عندما يرجعون إلى بلدانهم. ونفس الأمر يصدق على مسلمي الأقطار الأخرى، فإذا جاؤوا من إحداها إلى الحج وعرضوا على حجاج البلدان الأخرى مشكلات يعانونها من حكومتهم أو من قطاع من شعبهم، وجب على سائر المسلمين نصرتهم.

إذاً، فهذا هو الحال في الإسلام فاجتماعاته سياسية في نفس حال كونها عبادة، الإنسان يتصور أن صلاة الجماعة عبادة، وهي حقا عبادة يجتمع فيها جمع ويقيموا الصلاة، ولكن يجب خلال اجتماعات صلوات الجماعة هذه عرض القضايا السياسية أيضا، أي على هذا الخطيب الذي يعتلي المنبر كل أسبوع لإلقاء الخطبة ضمن إمامته لصلاة الجمعة أن يشرح في خطبته قضايا المسلمين السياسية، ويتحدث مثلا عن الأخطاء التي تصدر من الحكومات، ويهدي الناس إلى ما يحتاجونه فيما يرتبط بحياتهم ومعاشهم ومبدئهم ومعادهم.

وعلى أية حال، فقد آل الوضع في إيران إلى الحالة التي أخذوا معها بمنع الناس بالحراب حتى عن إقامة العبادات، واليوم منعوا إقامة هذه الفريضة الإلهية في مدينة قم، ونفس الخطأ ارتكبوه في المناطق الأخرى، ولم تصلنا بعد كل الأخبار، ولكن المجازر ارتكبت في الكثير من المناطق. وهم يردون بالحراب على الناس، وعلى الذين يقولون لا تعطي ثرواتنا للأجانب أيها السيد، وعلى الذين يقولون: نحن نريد الحرية، فقد خنقنا هذا القمع المستمر منذ خمسين عاما، وعلى الذين يقولون: نحن نريد الاستقلال فقد سخّرت بلدنا للأجانب. وهو يرد على هذه المطالب برئيس وزراء عسكري ووزراء عسكريين وحكومة عسكرية. ويريد حفظ نفسه بالعساكر، ومن جهة أخرى يطلق الأوباش الأشقياء ليهجموا على الناس بهراواتهم! فهو من جهة يقول: يجب حفظ النظام العام! ومن جهة ثانية يثير بنفسه الاضطراب وانعدام الأمن، حيث يأمر حَمَلة الهراوات بالهجوم على المدن وإضرام الحرائق فيها.

هذا وضع بلدنا، وهذا هو وضع حكومة الملك ووضع الحياة المشؤومة لهذا الخبيث. يجب علينا أن نعين المسلمين في إيران على الأقل في المجال الإعلامي، أي أن تبينوا للذين تلتقونه هنا أو للأوروبيين مثلا أن واقع الأمر غير ما يصورونه من أن الشعب الإيراني متوحش والحكومة الملكية تريد تأييده دون جدوى!

فهذه الصورة التي يروجها الملك عنكم. قولوا للناس حقيقة أن الشعب الإيراني إنما يريد الخلاص من هذا الظالم والتحرر والاستقلال، وأن يعيش حياة إنسانية. لكن هذا الشخص (الملك) لا يسمح له بتحقيق ذلك.

حفظكم الله جميعا ووفقكم إن شاء الله.

هوية الخطاب رقم . 64

فرنسا/ باريس/ نوفل لوشاتو: 10 ذي الحجة 1398 هـ، الموافق 11 نوفمبر 1978م.

الموضوع: الأبعاد السياسية العبادية في الإسلام.

الحاضرون: جمع من طلبة الجامعات والإيرانيين المقيمين في باريس .